

الحلقة الثانية

سلسلة الموعدة على الجبل

برنامج أنوار كاشفة

مستمعي العزيز، لابد أنك حزنت يوماً لفقدان عزيز عليك أو صديق لك. وفي فترة الحزن يمر الإنسان بأوقات صعبة، يختبر فيها الألم الحقيقي، وتسيطر على أفكاره التصورات السوداء. ويكاد يشعر أن حياته أصبحت بلا هدف أو بلا معنى. ومن ناحية أخرى يحس بحاجة إلى من يواسيه ويعزيه في وقت المحنة.

بدأنا في اللقاء الماضي بالحديث عن الموعدة على الجبل التي تحدث بها المخلص المسيح لتلاميذه. وهي تبدأ بتسع تطويبات. ولقد تأملنا في الطوبى الأولى منها وهي: « طوبى للمساكين بالروح. لأن لهم ملكوت السموات». وفي لقاء اليوم سنتحدث عن التطويبات التي تليها.

قال المسيح في الطوبى الثانية: « طوبى للحزاني لأنهم يتعزّون» (بشارة متى ٤:٥). فمن هم الحزاني الذين قصدهم المسيح هنا؟ للوهلة الأولى قد يتبادر إلينا أن المسيح يشير هنا إلى الحزاني في العالم اليوم. أي يشير إلى الحزاني بكل ما تعنيه الكلمة من معنى حرفي. الحزاني الذين فقدوا قريب لهم أو عزيز عليهم. أو الحزاني بسبب كارثة ما حلت بهم. وقد يفسر البعض أن الحزاني الذين أشار إليهم المسيح، هم الذين يحزنون من أجل آلام البشرية ومصائبها. إنهم الناس الذين يحسّون مع أحزان الآخرين وآلامهم. وبذلك يظهرون تعاطفهم ومشاعرهم تجاه المتألمين. وكأنهم يخفون عنهم الآلام ويعزّونهم بسبب وقوفهم معهم.

لكن التفسير الأقرب إلى الصحة والذي قصده المخلص المسيح هنا، هم الحزاني من أجل خطاياهم. إن الإنسان بعد أن يكتشف حقيقة نفسه الخاطئة، كما لاحظنا في الطوبى الأولى، لابد له أن يحزن ويندم على خطاياهم. إن معرفة حقيقة النفس الفقيرة روحياً لا يكفي لوحده. إذ أن الإنسان بحاجة إلى خطوة التوبة. والتوبة لا تحصل إلا عندما يحزن الإنسان على خطاياهم. عندما يدرك الإنسان أنه مسكين روحياً، أي فقير روحياً، يرى بشاعة نفسه، وعظم الخطية التي يرتكبها. وهكذا يبدأ يحزن على خطاياهم. هذا هو الحزن الحقيقي، والندم الصحيح، الحزن الذي يحول حياته إلى ألم ومعاناة وندم وحسرة. وعندما يصل الإنسان إلى هذه الحالة، وإلى هذه القناعة، لن يجد أمامه سوى باب التوبة الحقيقية.

وعندما يتوب الإنسان يجد الخلاص الكامل والتعزية الحقة. إن التوبة تعني أن يأتي المرء بثقل الخطية ويضعه على صليب المسيح. وعندها لا بد أن يجد الغفران الكامل والمسامحة. وهكذا يملأ السلام قلبه، وتدخل الطمأنينة إلى حياته، ويختبر التعزية الحقة. ولهذا قال المخلص المسيح: « طوبى للحناني لأنهم يتعزّون ».

ألا تود صديقي أن تختبر هذا الاختبار المجيد؟ وأن تتحول حياتك من الحزن والألم إلى الفرح والطمأنينة والسلام؟ عليك أولاً أن تعرف حقيقة نفسك. ثم أن تحزن على خطاياك وتتوب عنها. وعندئذ لا بد أن تحصل على التعزية الحقة. وتصبح من أولئك الذين يوجّه لهم المسيح الطوبى التالية: « طوبى للحناني لأنهم يتعزّون ».

أما الطوبى الثالثة للمخلص المسيح فكانت: « طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض » (بشارة متى ٥:٥). قد يظن البعض أن الوداعة تعني الخضوع والاستسلام والخنوع. لكن المسيح قصد بها هنا ترويض الغرائز وضبطها. أي أن الوديع هو الإنسان الذي استطاع أن يروّض غرائزه ويضبطها، أو هو الإنسان المضبوط تماماً. وبما أن الإنسان عاجز عن ترويض نفسه وضبطها، لذلك عليه أن يسمح لله لكي يتعامل معه ويقوم بهذه المهمة. ولهذا نجد أن للوداعة معنى آخر أيضاً وهو المتواضع القلب. والمتواضع هو الشخص الذي يعترف بجهله وعجزه. وبدون التواضع لا يمكن أن يكون هناك تدين حقيقي، لأن التدين الصحيح يبدأ باعتراف الإنسان بضعفه وحاجته الدائمة إلى الله.

إن المسيح أراد القول إذن: طوبى أو يا لسعادة هذا الشخص الذي يتواضع مقراً بضعفه وعجزه وحاجته إلى الله، لكي يروّض غرائزه ويضبطها. ونتيجة ذلك تكون أنه يرث الأرض، أي ينال البركة الحقة. وهذا تماماً ما عبّر عنه أيضاً كاتب سفر الأمثال عندما قال: « مالك روحه خيرٌ ممن يأخذ مدينة » (أمثال ١٦:٣٢ب). فهل تود يا صديقي أن تتحلّى بالوداعة، أي تسعى نحو ترويض غرائزك وضبطها؟ وفي نفس الوقت تتواضع مقراً بعجزك أو ضعفك، ومدى حاجتك إلى الله لكي يساعدك في تحقيق هذا الهدف الكبير. فهل تطلب من الله أن يدخل حياتك ويبدّلها من الداخل؟ وهكذا تنال السعادة والبركة والحقة.

انتقل المخلص المسيح بعدئذ إلى طوبى أخرى فأردف قائلاً: « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » (بشارة متى ٥:٦). كلنا نعرف أعزائي ماذا يعني الجوع والعطش. وعندما يكون الإنسان جائعاً أو عطشاناً نراه يسعى بجد وحماس من

أجل سد جوعه وإرواء عطشه. وكما يجوع الإنسان إلى الطعام ويعطش إلى الماء، هكذا عليه أن يجوع إلى البر، أي إلى التدين الحقيقي، وأن يعطش إلى الله ومعرفته. وهو تماماً ما ذكره قديماً المرنم في المزمور، عندما كتب يقول: « كما يشواق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشواق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الإله الحي. متى أجيء وأترأى قدام الله» (مزمور ٤٢: ١-٢).

من المهم إذن أن نجوع وأن نعطش إلى حياة البر، وأن نشواق لكي نتم إرادة الله في حياتنا. ونلاحظ هنا أنه ليس من الضروري أن نصل إلى البر الكامل، بل أن نشواق له. مع العلم أن لا أحد يقدر أن يحصل على البر بدون المخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب. وعندما يجوع الإنسان ويعطش إلى البر، لابد أن يسدد الله حاجته، فيشبعه ويرويّه، أي يكسبه حياة البر.

إذا كنت بعيداً عن الله يا صديقي، ولا تشعر بحاجتك إليه، أطلب منه أن يضع فيك جوعاً وعطشاً إلى البر، إلى التدين الحقيقي. فهل تخطو هذه الخطوة وتأتي بالإيمان إلى شخص المخلص المسيح؟ وعندها لابد أن يلبي الله طلبك، ويشبع نفسك الجائعة ويروي نفسك العطشى حقاً وفعلاً.